المحاكاة في قراءة القرآن

إعداد

د. فيصل بن جميل غزاوي

أستاذ مساعد – قسم القراءات

المحاكاة في قراءة القرآن

ملخص البحث :

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، أما بعد :

فهذا بحث في مسألة ((المحاكاة في قراءة القرآن)) ، إذ لم تكن مشهورةً من قبل، ولا تكاد تجد فيها أقوالاً للسلف ، ولكن مع ذيوعها في عصرنا وحاجة الناس لبيان حكمها ، فقد تكلم فيها العلماء ، واختلفت وجهات نظرهم فيها ، فما بين مجيز لها مطلقاً ، وما بين مانع لها ، وما بين مجيز بشروط وضوابط ، إلاَّ أن أكثر من تكلم في هذه المسألة لم يبحثها بحثًا وافيًا ، بل كانت النظرة موجهةً إما لما ينشأ عن ذلك من سلبيات ، أو ما ينشأ من إيجابيات ، فكانت النتيجة التي توصلوا إليها غير وافية ، بل ينقصها التأصيل والإحاطة بجميع جوانب المسألة ؛ لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره .

وهذه الدراسة جاءت لبحث هذه الظاهرة من جميع جوانبها المتعلقة بها ، وختمت بذكر الحكم الشرعي من خلال استعراض أقوال العلماء المعاصرين وآرائهم فيها، وترجيح أن المحاكاة جائزة بشروط وضوابط .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

Mimicking Leading Holy Quran Reciters

Dr. Faisal Bin Jameel Gazzawi

Abstract:

Praise be to Allah alone, Blessings and Peace be upon the Prophet Mohammad and his companions.

This is a research that deals with the topic *"Mimicking Leading Holy Quran Reciters"* which was not popular before and there were no quotes narrated from scholars along the centuries.

Because the recent publicity of this subject and due to the need of people to clarify the provision in this matter, it has been discussed by scholars and there were different views, some of them allowed it, some others did not allow it, and the rest allowed it with terms and conditions but the majority of scholars who have dealt with this topic did not provide a comprehensive research. Most of them were limited to the pros and cons of mimicking the reciters.

This research has come to consider this topic in all its aspects: it mentions the religious view in this topic by reviewing the different opinions of scholars and concludes that the mimicking is allowed with terms and conditions.

May the peace be upon the Prophet Mohammad, his Relatives and his Companions.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه وسار على نهجه... أمابعد:

فمن المسائل التي تتعلق بقراءة القرآن، وصارت شائعة في هذا الزمان، ما يعرف بتقليد أصوات القراء.

وبسبب الانفتاح الإعلامي وتعدد وسائل الاتصال ذاعت هذه الظاهرة، وظهرت بصورة لم تكن عليه من قبل.

وعند البحث في أقوال العلماء في الماضي والحاضر عن هذه المسألة وحكمها الشرعي فإنك لا تكاد تجد فيها إلا كلاماً يسيراً لا يروي الغليل وطرحاً مختصراً لا يشفي العليل.

فدعاني ذلك إلى العزم على جمع مادة علمية مؤصلة في هذا الموضوع، أجمع فيها شتاته وأذكر فيها ما يتعلق بجوانبه المختلفة، ومن ثمّ أصل إلى حكم هذه المسألة مما هو أقرب للصواب إن شاء الله، ولعل أحداً يطلع على ما كتبته فينتفع به ويستفيد منه، وعلى الله المستعان توكلي واعتمادي وإليه وحده تفويض أمري واستنادي.

ويشتمل هذا البحث على المباحث التالية:-

المبحث الأول : تعريف المحاكاة لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: أنواع المحاكاة في القراءة.

المبحث الثالث: درجات المحاكاة للقراء.

المبحث الرابع: أسباب المحاكاة.

المبحث الخامس: آراء العلماء في محاكاة القراء.

المبحث السادس: القول الراجح في حكم محاكاة القراء.

والآن أشرع في المقصود مؤملاً من الله الثواب وإياه أسأل التوفيق للصواب والنجاة يوم الحساب.

المبحث الأول : تعريف المحاكاة

قال في اللسان الحكاية كقولك:- حكيت فلاناً وحاكيته فعلت مثل فعله أوقلتُ مثل قوله سواءً لم أجاوزه، وحكيت عنه الحديث حكاية........يقال حكاه وحاكاه وأكثر ما يستعمل في القبيح المحُاكاة والمحاكاة المشابهة (١)

ويمكن أن نعرف المحاكاة بناءً على المعنى اللغوي بأنها: محاولة المرء تمثيل عمل شخص آخر أو محاكاته سواء كان في صوته أو هيئته أو تصرف منه أو حركة خاصَّة به.

والمراد فيما يتعلق بموضوعنا هو محاولة تقليد أحد قراء القرآن في نبرات صوته وكيفية أدائه.

ومن هذا الباب يمكننا أن نقول: "إن الصحابة رضي الله عنهم نقلوا لمن بعدهم أوصافاً ونعوتاً دقيقة لتلاوة النبي ﷺ ، وقلدوها ونعتوها بالعلم والعمل ومحاولة حكايتها" (٢)

ويشهد لهذا المعنى ما رواه الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس في قوله﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به﴾ قال" كان رسول الله ﷺ يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه فقال ابن عباس فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله يحركهما وقال سعيد (يعني ابن جبير) أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما فحرك شفتيه" (٣)

وروى الإمام البخاري أيضا عن معاوية بن قرة قال سمعت عبد الله بن مغفل يقول:- " رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يرجّع وقال : لولا أن يجتمع الناس حولي لرجّعت كما رجّع" [٤]

وأخرج أبوعبيدة هذا الحديث بسنده بلفظ مفسر لكلام معاوية ونصه:(ثم قرأ معاوية قراءة لينةً ورجع ثم قال : لولا أني أخشى أن يجتمع الناس علينا لقرأت ذلك اللحن) [٥]وبهذ اللفظ أيضاً أخرجه أبو علاء العطار في التمهيد [٦]

وقد اهتم العلماء أيضاً بنقل صفة قراءة القراء وصفا دقيقا فمن ذلك ماذكره ابن الجزري في التمهيد بقوله " ووصف الشذائي قراءة أئمة القراءة السبعة فقال" أمّا صفة قراءة ابن كثير فحسنة مجهورة بتمكين بيّن.

وأما صفة قراءة نافع فسلسلة لها أدنى تمديد.

وأما صفة قراءة عاصم فمترسلة جريشة [٧].. ذات ترتيل، وكان عاصم نفسه موصوفاً بحسن الصوت وتجويد القراءة.

وأما صفة قراءة حمزة فأكثر من رأينا منهم لا ينبغي أن تحكى قراءته لفسادها ولأنها مصنوعة من تلقاء أنفسهم.

وأما من كان منهم يعدل في قراءته حدراً وتحقيقاً فصفتها المد العدل والقصر والهمز المقوم والتشديد المجود بلا تمطيط ولا تشديق ولا تعلية صوت ولا ترعيد، فهو صفة للتحقيق. وأمّا الحدر فسهل كاف في أدنى ترتيل وأيسر تقطيع.

وأما وصف قراءة الكسائي فبين الوصفين في اعتدال.

وأمّا قراءة أصحاب ابن عامر فيضطربون في التقويم ويخرجون عن الاعتدال.

وأمّا صفة قراءة أبي عمرو بن العلاء فالتوسط والتدوير، همزها سليم من اللكن، وتشديدها خارج عن التمضيغ، بترسل جزل وحدر بيّن سهل، يتلو بعضها بعضا.... (٨)

فهذا الوصف الدقيق لقراءة القراء وكيفية أدائهم يدل على أهمية معرفة ذلك لمن أراد أن يقرأ القراءة الصحيحة الموافقة للسنة.

المبحث الثاني: أنواع المحاكاة في القراءة

من خلال الاستماع لقراءة مقلدي قرّاء القرآن من أئمة المساجد وطلبة دور التحفيـــظ والناشئة الذين تسمـــع أصواتهم في الإذاعات يتبين أن المحاكاة للقراء لا تخرج عن ثلاثة أنواع:-

١- المحاكاة في الصوت دون الأداء.

٢- المحاكاة في الصوت والأداء.

٣- المحاكاة في الأداء دون الصوت.

وإليك بيان ذلك:-

١- المحاكاة في الصوت دون الأداء:- فتجد أن المقلد قد اقتصر في تقليده للقارئ على نبرات صوته ونغمته الخاصة به، دون العناية بتحسين الأداء ومراعاة أحكام التجويد؛وهذا يكون عند من لا دراية له بقواعد الترتيل ولا يفيد من السماع إلا مجرد الموافقة للقارئ في التطريب والتنغيم، وقد يتكلف محاولة تمثل شخصيته في القراءة فتقع منه أخطاء فاحشة ولحن جلي كتمطيط الحروف والإفراط في المدود وغير ذلك.

٢- المحاكاة في الصوت والأداء:- فتجد أن المقلد يحرص على الجمع بين موافقة القارئ في صوته وتحسين أدائه مراعياً أحكام التجويد اللازمة وقواعد القراءة الصحيحة.

٣- المحاكاة في الأداء دون الصوت:- فيكون اهتمامُ السامع لتلاوات القراء منصباً على الاستفادة من طريقة تطبيق الأحكام وتجويد التلاوة وتحسين الأداء من غير حرص على المحاكاة في نبرات صوت القارئ الخاصّة به.

وهذا النوع بالنسبة للنوعين السابقين يعتبر أقل، لأن الغالب فيمن يستمع لتلاوات القراء يتأثر تاثراً بالغاً بأصواتهم وينصرف اهتمامه في تقليدهم إلى التطريب والتنغيم فقط.

المبحث الثالث : درجات المحاكاة للقراء

بالمقارنة بين مقلدي الأصوات في القراءة وبين من يقلدونهم من القراء يظهر لنا التفاوت في درجات إتقان المحاكاة سواءً في الصوت أو الأداء، ونجد أن ذلك يختلف من مقلد لآخر.

فمثلاً قد تسمع تلاوة شخص متقن للأداء ماهر في تقليد صوت أحد القراء حتى لا تكاد تفرق بين صوتيهما من شدة التوافق والتطابق.

وقد تسمع لأحد المقلدة وقد أتقن الأداء وهو ماهر فيه إلا أنه يشابه بعض القراء في شيء من نبرات صوته ويمكنك أن تميز بين صوتيهما بسهولة للفرق الواضح الذي يظهر لك.

وقد تسمع قراءة شخص يقلد أحد القراء فتجد تقارب الصوتين بينهما وتشابههما لحد كبير إلا أنك تلحظ قصوراً في مستوى الأداء وضعفاً في إتقان أحكام التلاوة.

وقد تسمع أيضاً من يقرأ مقلداً أحد القراء المشاهير ممن وجد عنده لحن في أدائه فشابهه المقلد في نبرات صوته وفاقه في مستوى الأداء وتطبيق قواعد الترتيل فأفاد منه في جانب الصوت وتلافى الخلل في جانب الأداء.

وهكذا فإنك تجد التفاوت والاختلاف في قضية تقليد الأصوات من حيث التشابه سواءً كان في نبرات الصوت أو مستوى الأداء.

وليس كل من حاول تقليد القراء أجاد ولا كل من ادعى التقليد أتقن

وقد يتكلف من لا يحسن القراءة تقليد القراء فيرد إلى صوته المعتاد وقد قيل: "من تطبع بغير طبعه نزعته العادة حتى ترده إلى طبعه كما أن الماء إذا أسخنته ثم تركته ساعة عاد إلى طبعه من البرودة، والشجرة المرّة لو طليتها بالعسل لا تثمر إلا مراً" (٩)..

المبحث الرابع: أسباب المحاكاة في القراءة

هناك أسباب كثيرة تدعو مستمع التلاوات أن يقلد أصحابها، وقد يكون الباعث للمقلد سبباً واحداً وقد يكون أكثر من سبب يدفعه للمحاكاة.

وعند محاولة حصر هذه الأسباب وجمعها نجدها لا تخرج عن التالي:-

١- صغر السن.
٢- تلقين القراءة.
٣- الإعجاب بالقارئ.
٤- الرغبة في تحسين القراءة.
٥- الرغبة في تدبر القرآن والتأثر به.
٦- كثرة السماع لقارئ معين.

٧- الحفظ بالسماع.

٨- موهبة التقليد.

٩- طلب الشهرة والصيت.

وإليك هذه الأسباب مفصلة:-

١- صغر السن:-

من الحقائق أن تعليم الصغار القرآن منذ نعومة أظفارهم له آثار حميدة في تنشئتهم النشأة الحسنة وتربيتهم التربية الصالحة وتنمية مهاراتهم وصقل مواهبهم ، يقول ابن خلدون في مقدمته "اعلم أن تعليم القرآن للولدان شعار الدين أخذ به أهل الملة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث. وصار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعدُ من الملكات وسبب ذلك أن التعليم في الصغر أشدُّ رسوخاً وهو أصل لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال من ينبني عليه........."(١٠)

إذا علم هذا فإنّ من الوسائل الميسرة اليوم لتعليم الصغار القرآن سماعه من القراء المجيدين عن طريق الوسائل الإعلامية كالمذياع والأشرطة والأجهزة التعليمية للصغار وغيرها، وهذا من شأنه ترسيخ وتثبيت محفوظاتهم من الآيات وتقويم ألسنتهم وتحسين نطقهم وتجويد أدائهم وتزيين أصواتهم محاكاة للقراء.

وكما هو معلوم فالصغير عنده حب التقليد للكبار وهذا أمر غريزي فطري جبلي فكثيراً ما نرى الصغار وهم يحاكون من يكبرهم في الكلام والحركات والتصرفات إذ يشعر الصغير عند تقليده بأنه كبير وأن له قدراً وقيمة.

وهكذا فكثير من صغار السن يحب أن يقلد أصوات القراء ويشعر بأنه يقوم بشيء عظيم يستحق الثناء عليه ، حتى إننا نرى بعض الأطفال ممن لم يتجاوز الخامسة من عمره يحب أن يقرأ كفلان ممن اعتاد سماع صوته ويردد قراءته بين حين وآخر ويحرص على متابعة تلاواته المسجلة.

وبعض الآباء له دور في تقليد ابنه الصغير لأصوات القراء، إذ يحضه دائماً ويدفعه إلى الاستماع إلى بعض القراء ويرغبه أن يحسن صوته عن طريق سماعهم حتى يتأثر بذلك ويشبَّ على تقليد صوت القارئ الذي تعود على الاستماع له.

٢- تلقين القراءة:

من الوسائل المستعملة في تعليم القرآن والطرق المستخدمة في ضبط قراءة القرآن وتجنب اللحن فيها التلقين ((ويكون بإحدى طريقتين:-

أ - التلقين الفردي لطالب واحد:- أي يقرأ المعلم الآية ويرددها الطالب بعده.

ب- التلقين الجماعي:- وهي قيام المعلم بتلقين مجموعة من الطلاب بأن يقرأ الآية ثم يرددها الطلاب خلفه حتى يضبطوها وهكذا حتى يتم الحفظ والإتقان)) [١١]، وهذه الطريقة تعرف بالقراءة الترددية يسعى من خلالها لتحقيق أهداف منها : تخليص لسان الطالب من عيوب النطق وتعويده على آداب وكيفية القراءة الصحيحة وتطبيق أحكام التجويد وتدبر الآيات[١٢]. وعند النظر في الآثار الإيجابية لكلتا الطريقتين نجد أن طريقة التلقين الفردي أجدى وأنفع للمتلقي ، فبها يتعرف المعلم على الأخطاء التي يقع فيها كل طالب والتي لا يكتشفها في القراءة الجماعية[١٣].

ولاشك أن طريقة التلقين التي تكون في مرحلة التلقي تورث عند الملقَّن غالباً حب التقليد لشيخه ومعلمه إذ يتردد صدى صوته في ذهنه وتبقى نبرات ألفاظه عالقة في ذاكرته، فلا غرو أن يستحضر ذلك عند بداية قراءته فيحاكيه.

وبما أن الصغار هم أكثر من يتلقن القرآن، لذا تجد أنهم أحرص الناس على التقليد، خاصة أن هذا أمر غريزي فطري في نفوسهم كما سبق بيانه.

٣- الإعجاب بالقراء:

كثير من مستمعي أصوات القراء يبحثون عن الأصوات الندية الجميلة الخاشعة المؤثرة ولبعضهم قارئ مفضل يكثرون من السماع لتلاوته ويطربون عند سماع صوته ويلتذون بحسن أدائه.

ولا ملامة على المسلم أن يبحث عن صوت القارئ الحسن الصوت، فله سلف في ذلك فمن الأمور المعلومة ((أن كون الصوت الطبعي خلقة حسنة لذيذة مطربة أمر يدرك بالإحساس ويشترك فيه جميع الناس، والإنسان مجبول على محبة الحسن وبغض السيء)) (١٤) وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال لأبي موسى الأشعري لما سمع قراءته:- " لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود"(١٥)

وطلب النبي ﷺ من أبي بن كعب رضي الله عنه أن يقرأ عليه القرآن، واستمع أيضاً عليه الصلاة والسلام لقراءة سالم مولى أبي حذيفة وكان حسن الصوت فقال "الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا" (١٤)

فهذه الأحاديث دالة دلالة واضحة على استحباب طلب القراءة الطيبة من حسن الصوت قال النووي رحمه الله:- "اعلم أن جماعات من السلف كانوا يطلبون من أصحاب القراءة بالأصوات الحسنة أن يقرؤوا وهم يستمعون وهذا متفق على استحبابه وهو عادة الأخيار والمتعبدين وعباد الله الصالحين وهو سنة ثابتة عن رسول الله ﷺ"(١٥).

ولإدمان بعض الناس على سماع أصوات القراء الجميلة وإعجابهم بأصحابها وإكبارهم لهم فقد يدعوهم ذلك إلى اتخاذهم قدوة لهم في القراءة فيحاكونهم في أصواتهم، مع اختلاف في مستوى ذلك كماسبق.

ويدخل في هذا محاكاة بعض القراء لأبيه أو قريبه ممن له شهرة عظيمة وصيت واسع في مجال القراءة فيكون خلفاً له في نشر التلاوات وتسجيل القراءات التي يحاكي فيها صوت من يقلده.

٤-الرغبة في تحسين القراءة :

"من آداب قراءة القرآن أن يجتهد المسلم في حفظه وتحرير النطق بلفظه والبحث عن مخارج حروفه ومعاني صفاتها والرغبة في تحسين الصوت به ونحو ذلك وهو حسن مطلوب"(١٦)

ومما لاشك فيه أن تحسين الصوت بالقرآن والتغني بتلاوته أمر رغب فيه الشرع وجاءت النصوص الدالة على استحبابه.

قال النووي رحمه الله "أجمع العلماء رضي لله عنهم من السلف والخلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمصار أئمة المسلمين على استحباب تحسين الصوت بالقرآن، وأقوالهم وأفعالهم مشهورة نهاية الشهرة، فنحن مستغنون عن نقل شيء من أفرادها.

ودلائل هذا من حديث رسول الله ﷺ مستفيضة عند العامة والخاصة، كحديث " زينوا القرآن بأصواتكم"(١٧) وحديث " لقد أوتي هذا مزماراً" وحديث " مأأذن الله"(١٨) وحديث " لله أشد أذناً"(١٩)..................

قال العلماء رحمهم الله" فيستحب تحسين الصوت بالقراءة وتزيينها مالم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط، فإن أفرط حتى زاد حرفاً وأخفاه فهو حرام"(٢٠). وقال ابن حجر رحمه الله " والذي يتحصل من الأدلة أن حسن الصوت بالقرآن

مطلوب، فإن لم يكن حسناً فليحسنه مااستطاع كماقال ابن أبي مليكة أحد رواة الحديث وقد أخرج ذلك عنه أبوداود بإسناد صحيح(٢١).

وقد يرغب بعض المتعلمين أن يزن صوته ويحسنه ويضبط أداءه ويجوده فيعمد لتقليد القراء.

ومما يلحظ أن الاستماع لتلاوات القراء المجيدين وتقليدهم يحقق رغبة بعض الناس في التدريب على الأداء الجيد والنطق السليم عند القراءة مطلقاً، فلا يكون الاقتصار فقط على تحسين قراءة القرآن بل حتى تحسين قراءة أي نص من نصوص العربية دون لحن أو صعوبة.

"وإن مما لاشك فيه أنّ من يجيد تلاوة القرآن لا تقتصر إجادته على ألفاظ القرآن وكلماته، بل تتعداها إلى اللغة العربية كلها؛ ذلك لأن كلمات القرآن وما تتضمنه من أصوات تشمل جميع أصوات اللغة العربية، وأكبر دليل على ذلك أن خير من يحدث الناس باللغة الفصيحة أو يحاضرهم بها، هو ممن له اتصال بدراسة القرآن الكريم......." (٢٢).

ومما يوصى به " أن تدرب نفسك على حسن الاستماع لكل مقروء- وخصوصاً تلاوة القرآن الكريم- لتتعلم وتكشف بنفسك أخطاء النطق والضبط التي تقع فيها(٢٣)".

ومن العجيب أن من المتعلمين من أخذ بمشورة شيخه في الاستفادة من أشرطة القراءة المجودة لبعض القراء فأقبل على سماعها حتى صار متقناً للأداء ويقرأ قراءة صحيحة لا لحن فيها مع أنه قد لا يعرف أحكام التجويد نظرياً ولكنه مع كثرة سماع كيفية تطبيقها على لسان القراء المتقنين وبأصواتهم العذبة استطاع أن يضبطها ويتقنها عملياً.

وأعجب من ذلك أن هناك من الأعاجـم من لا يحسن أن يتكلم بالعربية ولا أن يأتي بجملة مفيدة منها ولكنه بسبب إقباله على سماع أصوات المشاهير من القراء صار يرتل القرآن ويتقن القراءة الصحيحة ويقلد القراء في دقائق التطبيقات العملية لمسائل التجويد، وتجد منهم من جمع بين جمال القراءة وحسن الأداء مع أعجميته وهذا من دلائل إعجاز القران الباهرة.

٥- الرغبة في تدبر القران والتأثر به.

من الناس من يحرص على استماع التلاوات المؤثرة رغبة في تدبر كلام الله وتفهم معانيه والانتفاع بذلك وقد يكون طلب النبي ﷺ من ابن مسعود رضي الله عنه أن يقرأ عليه القرآن لهذا السبب. قال ابن بطال: يحتمل أن يكون أحبَّ أن يسمعه من غيره ليكون عرض القرآن سنة ويحتمل أن يكون لكي يتدبره ويتفهمه وذلك أن المستمع أقوى على التدبر ونفسه أخلى وأنشط لذلك من القارئ لاشتغاله بالقراءة وأحكامها[٢٤].

ويقول ابن حجر رحمه الله: "ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم لأن للتطريب تأثيراً في رقَّة القلب وإجراء الدمع"[٢٥].

ويقول القسطلاني: "ولا يخفى أن النفوس لها حظ من الأصوات الحسنة فإذا جُليت ألفاظ القرآن العزيز بالأصوات الطيبة مع مراعاة قوانين الترتيل على الأسماع، تلقّتها القلوب، وأقبلت عليها النفوس، وربما أثمر ذلك تدبر آياته، والتفكر في غوامضه، والتبحر في مقاصده، فيحصل له حينئذ الامتثال لأوامره، والانتهاء عن مناهيه، والرغبة في وعده، والرهبة من وعيده، والطمع في ترغيبه، وهذه فائدة مشروعية الإنصات إلى التلاوة في الصلاة وغيرها...." [٢٦].

ومـن الأسـاليب التربويـة فـي حـث الناشـئة علـى تـدبر كـلام الله الاسـتماع للتلاوات المؤثرة، فعلى الأبوين وأولياء الأمور حث المتربي على الاهتمام بتدبر ما يقرأ وأن يحرصوا على إسماعه التلاوات التي لها وقع في النفوس وأثر في القلوب وعلى المعلم أن يتبين أهمية التدبر ويحث الطالب على الاستماع إلى القراء ذوي الأصـوات الخاشـعة الجميلـة ويحـاول الاسـتفادة منهـا، ويتبـع المربـي الأسـاليب المختلفـة فـي حـث الناشـئ علـى تحـسين صـوته واتخـاذ نغمـة محببـة إلـى نفـسه وملازمتها(٢٧).

وبالحرص على استماع التلاوات المؤثرة بغية التدبر، ومع كثرة اعتياد ذلك ينشأ عند المستمع- غالباً- حبُّ تقليد صوت من أثرت تلاوته فيه وأثمرت عنده تدبراً وفهماً.

٦- كثرة السماع لقارئ معين:

والمراد هنا هو السماع المجرد ولو لم يقترن به سبب من الأسباب السابقة (الإعجاب والرغبة في تحسين القراءة والتدبر) كالحال فيمن يستمع لقارئ معين رغبة في الأجر مثلاً، وكالحال فيمن يستمع لإمام مسجد حيه دائماً في الصلوات الجهرية، فالواقع يشهد بأن كثيراً من الناس الذين يقعون في مسألة المحاكاة قد يقلدون أئمة مساجدهم لكثرة سماعهم لهم، حتى لو لم يكن الدافع لذلك هو الإعجاب بالقراءة.

٧- الحفظ بالسماع:

وأعني بذلك أن من الناس من يعتمد عند حفظه لسور أو أجزاء من القرآن على سماع تلاوات القراء والإكثار من ذلك ومع ترداده للآيات مع القراء ولكثرة مايطرق سمعه من أصواتهم ينشأ عنده حب التقليد لهم ويصبح مألوفاً ميسوراً محبوباً.

والفرق بين هذا السبب والذي قبله أن همَّ المتعلم هناك مصروف إلى تحسين التلاوة وتزيين الصوت بينما هنا يكون اهتمام المتعلم بحفظ الآيات وتكرارها بغية المراجعة والتثبيت والإتقان.

وقد وجد من الناس من حفظ أجزاء من القرآن أو حفظه كله عن طريق سماع الأشرطة وإن كانت هذه الطريقة في الحفظ عليها مآخذ، إذ يندر أن يسلم متبعها من الحفظ المشوب باللحن والتصحيف.

"ولقد ثبت بالتجربة أن الذي يبدأ بالحفظ وحده بدون تصحيح للقراءة يقع في أخطاء كثيرة في الحركات، بل وفي نطق بعض الكلمات، ويصعب عليه جداً أن يتركها فيما لو نبه عليها فيمابعد"[٢٨].

٨- موهبة التقليد:

من الناس من أُعطي قدرة فائقة في تقليد الأصوات وعنده إمكانية عالية في ذلك حتى إنه ليقلد أصوت الحيوانات علاوة على تقليد أصوات البشر ويستطيع تمثيل بعض الأشخاص بسهولة وتقمص الشخصيات بطريقة عجيبة.

وصاحب هذه الموهبة يسهل عليه تقليد أصوات القراء ويمكنه أن يقرأ لعدد منهم يأتي بنبرة صوت كل واحد منهم مقلداً لهم دون مشقة.

فهجيراه أن يُقلد كل ما سمعه وبمهارة فائقة في هذا الجانب، فلا غرو أن يكون سبب تقليده للقراء ناشئاً عما يحسنه من هذه الهواية وتلك الملكة العجيبة.

٩- طلب الشهرة والصيت:

قد يجتهد بعض الناس في أن تكون له مكانة عند الآخرين ومحبة في قلوبهم ويسعى في تحقيق ذلك بوسائل مختلفة سواء كانت شرعية أم غير شرعية.

ومن ذلك أن يتفنن بعضهم في تجميل صوته وتنغيمه ويعمد في سبيل تحقيق ذلك إلى تقليد أحد القراء المعروفين ليجتمع إليه الناس وينبهروا بروعة صوته ويبجلوه ويضفوا عليه ألقاب المدح وعبارات الثناء ويصبح من أهل الشهرة وأصحاب الأضواء.

فلم يكن هدفه من تقليد أصوات المقرئين تحسين الأداء وتجويد القراءة بل تجاوزها لاكتساب الدنيا والرفعة فيها وطلب محمدة الناس.

ولا يستغرب أن يكون هناك من يريد أن يسمع صوته وينتشر صيته ويشتهر بين الناس، فإن من الثلاثة الذين أول من تسعّر بهم النار يوم القيامة الذي يقرأ القرآن ليقال قارئ كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ [٢٩] ومما صح عنه أيضاًﷺأنه قال:" من طلب العلم ليجاري به العلماء، أوليماري به السفهاء أو يصرف به جوه الناس إليه أدخله الله النار"[٣٠]، فالذي يتعلم القرآن ويضاهي أصوات المقرئين ليتوصل بذلك إلى الجاه والمنزلة عند الناس داخل في هذا الوعيد.

وقد ينتفع الناس بصوت هذا المقلد قاصد الشهرة ويتأثرون بتلاوته مع إرادته بعمله هذا غير الله، قال ابن عطاء الله تعليقاً على حديث "من تعلم علما لغير الله..." "جعل الله العلم الذي عَلِمه من هذا وصفه حجةً عليه وسبباً في تحصيل العقوبة لديه ولا يغرنك أن يكون به انتفاع للبادي والحاضر"، وفي الخبر "إن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر...."[٣١].

فالخلاصة أن من أسباب تقليد القراء ودوافعه طلب الشهرة والصيت عند الناس عياذاً بالله تعالى.

المبحث الخامس: آراء العلماء في محاكاة القراء

لم أقف - حسب بحثي واطلاعي- على من تكلم في هذه المسالة من علماء الأمة المتقدمين خلال القرون السابقة.

وعند البحث عن كلام العلماء المعاصرين حول هذه المسالة لا تكاد تجد من تطرق لها إلا آراء قليلة لبعض أهل العلم، وحتى ما وقفت عليه من ذلك فكلام مختصر ليس فيه بسط للمسالة اللهم إلا ما ذكره الشيخ بكر أبو زيد في مبحث من مباحث رسالته "بدع القراء" مع عدم تعرضه لجوانب الموضوع المختلفة وتركيزه على الحكم الشرعي للمسألة.

وقد نتساءل عن سبب عدم تطرق العلماء السابقين لهذه المسالة وعدم الخوض فيها وإغفال ذكرها ضمن المسائل الشرعية والمباحث الفقهية المتعلقة بالقرآن.

وفي ظني أن سبب ذلك أن محاكاة أصوات القراء لم يكن أمراً شائعاً مستفيضاً ولا معهوداً معروفاً من قبل كما هو الآن ولم يستدع أن يسأل عنه المستفتون ولا يتعرض له المفتون من علماء الشريعة.

فلما ظهر هذا الأمر في واقعنا المعاصر وذاع بين متعلمي القرآن وأئمة المساجد وغيرهم وجد المقتضي للسؤال عنه والبحث عن مسألته من قبل الناس والإجابة من قبل العلماء.

كما أن كثرة وسائل الاتصال المعاصرة ووسائل التقنية الحديثة أسهمت بشكل كبير في ظهور هذا الأمر وانتشاره وسريانه بين طلاب العلم خاصة.

فالمذياع والقنوات ومواقع الشبكة وأشرطة الكاسيت والفيديو ومكبرات صوت المساجد كانت سبباً في نقل أصوات القراء وإعجاب كثير من الناس بأصواتهم ومحاولة تقليدهم، حتى صار الشخص يقلد بعض القراء ممن هو في

قطر بعيد جداً عن قطره ولا يعرفه إلا من خلال صوته الذي ينتقل عبر الأثير أو يسمع بواسطة الجهاز المسجل.

وسوف أستعرض -إن شاء الله- آراء العلماء والمشايخ المعاصرين الذين وقفت على كلامهم في المسألة ثم ألخص مذاهبهم آخر هذا المبحث.

سئل الشيخ أبو المعز فركوس عن حكم تقليد القراء في القرآن بنية جلب المصلين؟ فأجاب بقوله:-

الحمد لله والصلاة على من أرسله الله رحمة للعالمين وآله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدين وسلم تسليماً

أمابعد:

فقراءة القرآن الكريم بالألحان والتطريب على هيئة الأغاني المطربة وذلك بتمطيط الحروف والإفراط في المد وتشبيع المدود إلى أن تصير حروفاً فهذا لا يجوز للقارئ ولا يجوز لمقلده لأنه يتلذذ بتلك الألحان والنغمات ولا يتوخى منها فهم ما تحمله الآيات من معان كالوعد والوعيد والأمر والنهي والوعظ والتخويف وغيرها فأصبحت بمثابة أصوات المزامير التي ورد فيها ذمَّ قريش الذين كانوا يطوفون بالبيت بالتصفير والتصفيق في قوله تعالى ﴿وما كان صلاتهم عند البيت إلامكاء وتصدية﴾[٣٢].

أما إذا خلا من ذلك وكان المقلد للقارئ يتعلم منه مخارج الحروف على وجهها الصحيح والأداء الحسن فلا يضر ذلك إن شاء الله تعالى لخلوه من الألحان المطربة الشبيهة بالأغاني النقيضة للخشوع والوجل، ولم تحقق الغاية من القراءة من تدبر الآيات وتفهم معانيها. قال تعالى ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته﴾[٣٣] [٣٤] .

وسئل الشيخ فوزي الأثري ثلاثة أسئلة في هذا الباب إليك نصها مع إجابتها:-

١-هل يجوز للإمام الذي يصلي بالناس أن يقلد أصوات القراء في الصلاة؟. فأجاب بقوله:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه أما بعد.

فإنه لا مانع للإمام من تقليد أصوات القراء أثناء الصلاة إذا كان الحامل على ذلك محاولة ترتيل القرآن وتحسين صوته لأن ترتيل القرآن واجب في الصلاة وفي غيرها قال تعالى: ﴿ورتل القران ترتيلا﴾[٣٥] والله أعلم.

٢- ماحكم تقليد المرأة صوت بعض القراء في تلاوة القرآن؟. فأجاب بقوله:-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أمابعد

إن كان ذلك على سبيل الإعجاب بصوت القارئ وحسن أدائه للقراءة فلا حرج في ذلك.

٣- هل يجوز تقليد القراء في قراءة القرآن في الصلاة؟. فأجاب بقوله:

لابأس عندي في تقليد القراء إذا كانت القراءة شرعية[٣٦].

وسئل الشيخ محمد المغراوي السؤال التالي:- هل يجوز تقليد بعض قرّاء القرآن المشهورين كالقرّاء المصريّين وجزاكم الله خيراً؟ فأجاب بقوله:-

قراءة القرآن بالتجويد أمر مطلوب وعلى الإنسان أن يقرأ مخلصاً لله متقرباً بقراءاته والإنسان بطبعه يتأثر بغيره في الشكل والهندام والصوت والكلام فإن وقع التأثر بالغير من غير قصد فلا إشكال فالإنسان ليس بمقداره أن يستقل بنفسه في كل شيء لكن أن يتقمص الشخصية تقمصاً كاملاً فأرى أن هذا لا يجوز لأن هذا الأمر

قد تترتب عليه مفاسد كثيرة وتذوب شخصية المقلد فلا يبقى لها وجود وهذا مما لا ينبغي أن يحصل ويكون فاستماع الأشرطة والاستفادة منها عمل جيد وأما التقليد الأعمى فلا ينبغي كما سبق والله أعلم.(٣٧)

وسئل الشيخ عبدالله بن جبرين السؤال التالي:- ماحكم تقليد صوت بعض القراء في القرآن وجزاكم الله خيراً؟. فأجاب بقوله:-

على الإنسان أن يقرأ القرآن بالصوت الذي يحسنه والذي خلقه الله وجبله في كل إنسان ولا يكلف نفسه التشبه بصوت فلان أو فلان فإن ذلك من التكلف والتدخل فيما لا يقدر عليه الإنسان فإن الله تعالى جعل لكل إنسان ميزة يعرف بها في الشكل والصورة وهكذا في الصوت الظاهر والخفي فالذين يقلدون أصوات بعض القراء والذين يمثلون أشخاصاً معينين لاشك أنهم وقعوا في الإثم وتكلفوا مالا حاجة لهم به وقد يقعون في الإثم بما يشبه الغيبة والسخرية بذلك الشخص الذي يتشبهون به وقد ورد الأمر بتحسين الصوت عند قراءة القرآن وبالتغني بالقرآن وذلك يحصل بدون تكلف(٣٨) .

وسئل الشيخ محمد العثيمين السؤال التالي:-بعض أئمة المساجد في صلاة التراويح يقلدون غيرهم وذلك لتحسين أصواتهم بالقرآن فهل هذا عمل مشروع وجائز؟ فأجاب بقوله:-

الحمد لله تحسين الصوت بالقرآن أمر مشروع أمر به النبي ﷺ واستمع النبي ﷺ إلى قراءة أبي موسى الأشعري وأعجبته قراءته حتى قال "لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود"

وعلى هذا فإذا قلد إمام المسجد شخصا حسن الصوت والقراءة من أجل أن يحسن صوته وقراءته لكتاب الله عزوجل فإن هذا أمر مشروع لذاته ومشروع لغيره أيضاً لأن فيه تنشيطاً للمصلين خلفه وسبباً لحضور قلوبهم واستماعهم

وإنصاتهم للقراءة وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم(٣٩).

وسئل الشيخ ابن عثيمين أيضاً عن حكم تقليد الإمام أحد القراء في قراءته فأجاب بمايلي:يجوز أن يقلد أحد القراء في قراءته مادام أداء القارئ الذي قلده جيداً أما الصوت فلا يقلده فيه(٤٠).

أما الشيخ بكر أبوزيد فهو الوحيد -حسب علمي- الذي أفرد المسألة بمبحث خاص في كتابه(بدع القراء) (٤١) وفصَّل في حكم المسألة أكثر.

ويمكن تلخيص رأي الشيخ في النقاط التالية:-

١- أن التلميذ لشدة محبته لشيخه قد يتأثر في الأداء بلا تكلف وإن كان هذا إنما يكون في ضعاف التلاميذ.

٢- أنَّ محاكاة الصحابة للنبي ﷺ في صوته أمر غير معهود بينهم رضي الله عنهم ولوكان ذلك واقعاً لنقل ولوكان لصار أولى من يحاكى في صوته هو النبي ﷺ أفضل من قرأ القرآن ولتواطأ على ذلك قراء الأمة من الصحابة فمن بعدهم وتوارثوه كافة عن كافة.

٣- أن يكون مجرد استحسان الإنسان للصوت دليلاً على استحبابه في الدين والتعبد به مجرداً فهذا ضلال إذ حقيقته تدين بعشق الصوت كالتدين بعشق الصور الحسنة وقد تنكبهما أهل العلم والإيمان وردوا على منحرفة المتصوفة في التعبد بعشق الصور الجميلة وبعشق الأصوات الجميلة وما تثيره من الوجد والحركة.

من خلال استعراض فتاوى بعض العلماء المعاصرين يمكن تلخيص آرائهم فيما يلي:-

❖ فريق يرى المنع من التقليد بإطلاق.

❖ فريق يرى جواز ذلك بإطلاق.

❖ فريق يرى جواز ذلك بشروط و ضوابط .

أما القائلون بالمنع وعدم الجواز فعللوا ذلك بما يلي:-

١- أن هذا الأمر غير معهود عند الصحابة ولم يكن من هديهم ولم ينقل لنا أنهم فعلوا ذلك وقد وجد المقتضي في عصر النبي ﷺ ولم يعمل به فهو بدعة محدثة.

٢- الذين يقلدون أصوات بعض القراء ويمثلون أشخاصاً معينين وقعوا في الإثم وتكلفوا ما لاحاجة لهم به وقد يقعون في الإثم بما يشبه الغيبة والسخرية بذلك الشخص الذي يتشبهون به.

٣- أن الشغف والتدين بحسن الصوت أمر محرم مبتدع.

٤- أن المحاكاة للصوت الحسن فيه تبعة مذلة.

٥- أن هذا العمل خلاف الفطرة حساً ويعاكسها عقلاً و يؤدي إلى تكلف العبد مالا يطيقه.

أما القائلون بالجواز فعللوا ذلك بما يلي:-

١- هو أمر مشروع لذاته من أجل تحسين صوت المرء بالقراءة والذي أمر به النبي ﷺ.

٢- هو أمر مشروع لغيره لأن فيه تنشيطاً للمصلين خلفه إذا كان إماماً ولأنه سبب في حضور قلوبهم واستماعهم وإنصاتهم للقراءة.

أما القائلون بالجواز المقيد فمن شروط هم وضوابطهم :-

١- أن تكون القراءة شرعية ولا يجوز للمقلد أن يوافق القراء في قراءة القرآن بالألحان والتطريب على هيئة الأغاني المطربة لأنه يتلذذ بتلك الألحان والنغمات ولا يتوخى منها فهم ما تحمله الآيات من معان.

٢- إذا كان المقلد يتعلم من القارئ مخارج الحروف على وجهها الصحيح والأداء الحسن فلا بأس، وإذا كان الحامل على التقليد ترتيل القرآن وتحسين الصوت فلا مانع.

٣- إن وقع التأثر بصوت غيره من غير قصد فلا إشكال، وأما أن يتقمص الشخصية تقمصاً كاملاً فلا يجوز لما يترتب عليه من مفاسد وتذوب معه شخصية المقلد فلا يبقى لها وجود.

المبحث السادس : حكم القول الراجح في حكم محاكاة القراء

قبل بيان الراجح في حكم تقليد الأصوات ولأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره يحسن أن نذكر ببعض القضايا والمعطيات التي توضح المسألة وتجلي صورتها وتكشف حقيقتها:-

١- أن تحسين الصوت بالقراءة أمر مشروع حث عليه الشرع كما مر معنا من نصوص السنة المطهرة.

٢- الشارع أطلق الوسيلة التي تتخذ لتحسين الصوت ولم يقيدها بشي فكل وسيلة مشروعة مباحة يمكن الاستفادة منها في هذا المجال فهي مطلوبة.

٣- أن تدبر كلام الله عزوجل وتفهم معانيه بما يكون سبباً في حضور القلب وجلب الخشوع أمر مطلوب ويسعى المسلم في تحصيله بأسبابه المشروعة سواء عند قراءته القرآن أو سماعه من غيره.

٤- " الأداء وما يحمل من نبرات وتنغيمات وفواصل له أثر كبير في نفوس السامعين ومتابعتهم وحسن إصغائهم وفهم المراد"[٤٢].

والتأثر بالأصوات الجميلة شيء فطري طبيعي وسماع صوت قارئ يتغنى بالقرآن يحبره تحبيراً لاشك أن له وقعاً على التفوس قد يؤدي إلى الإعجاب به والتلذذ بحسن أدائه، ومع كثرة الاستماع له وتكراره وتردد صوته على الأسماع يجعله مألوفاً وتصبح نبراته محفوظة في الذاكرة.

فإذا ما قرأ هذا المستمع فإنه قد يضاهي ما يطرق سمعه دائماً ولا ينفك ذلك وقد يبتدئ في القراءة فلا يشعر إلا وقد وجد نفسه متابعاً لمن قد أعجبه من القراء وتأثر بسماع صوته.

٥- أن مقاصد المقلدين للأصوات مختلفة فمنهم المقلد المخلص الذي يريد تحسين تلاوته ، ومنهم المقلد طالب التأثر والانتفاع راجياً الثواب من الله ، ومنهم المقلد المرائي الذي يريد صرف وجوه الناس إليه كما سبق بيان ذلك.

٦- في زماننا ضعفت همم كثير من الناس وفترت عزائمهم وزهدوا في قراءة القرآن على المشايخ وعزفوا عن أصل تعلمه وهو التلقي بالمشافهة.

٧- هناك شريحة كبيرة من عوام المسلمين لا تحسن القراءة في المصحف وشريحة كبيرة جداً من الأعاجم الذين لا يحسنون النطق بالعربية ولا يستطيعون قراءة شيء من القرآن ، بينما تجد كثيراً من الصنفين أعني - عوام المسلمين العرب والأعاجم- عندهم محبة لسماع التلاوات المذاعة والمسجلة، وقد استهوت هذه الطريقة كثيراً من الناس بسبب مايبث ويذاع عن طريق الوسائل الإعلامية الحديثة وما يستمعون إليه من قراءات مؤثرة بأصوات شجية تملك القلوب وتأسر العقول.

وقد عظم انتشار هذه التلاوات خاصة عن طريق المذياع المتوفر في كل مكان حتى إنك تجده عند الراعي في باديته والصياد في مركبه والمزارع في مزرعته وهكذا.

وقد استطاع كثير من هؤلاء السمَّاعين حفظ أجزاء من القرآن ، بل بعضهم حفظه كله بسبب كثرة سماعه ومتابعته للتلاوات الجميلة التي تؤثر في النفوس.

وأعجب مافي الأمر أنك تجد من كبار السن من عنده حب لكتاب الله ورغبة صادقة في تعلمه ويملك من توهج الروح وحيوية النفس ما يجعله يقبل على سماع التلاوات ويتأثر لقراءة أصحابها ويتطبع بأصواتهم ويحفظ من أفواههم الجزء والأجزاء.

٨- أن التقليد يؤدي إلى ترك ماطبع عليه المرء وسجيته التي فطر عليها ومعلوم أن سلطان السجية على الإنسان قاهر قال الراغب الأصفهاني "فأما أن تجذب السجية إلى خلاف ماخلقت له فمحال، فالسجية فعل الخالق عزوجل والعادة فعل المخلوق، ولايبطل فعل المخلوق فعل الخالق ولكن ربما يقوي العادة قوةٌ محكمة حتى تعد سجيته"(٤٣).

من خلال تأمل القضايا السابقة والنظر فيما ذكره العلماء في المسألة يتبين لي أن محاكاة أصوات القراء أمر جائز مشروع وذلك للأسباب التالية:-

١- أن الشارع حث على تحسين الصوت بالقراءة وأطلق الوسيلة التي يتحقق بها ذلك ولم يقيدها بشيء.

والاستماع إلى القراء المجيدين وتقليدهم في حسن أدائهم يحقق هذا المقصد الشريف علاوة على ما له من آثار إيجابية تعود على المقلد من تزيين صوته بالتلاوة وتقويم لسانه وتدبره لما يقرأ وحصول الخشوع في القلب.

وهذه ولا شك مقاصد مطلوبة وفوائد عظيمة.

ومع القول بمشروعية تقليد الأصوات إلا أن هناك ضوابط ينبغي مراعاتها والأخذ بها عند التقليد ومحاذير ينبغي اجتنابها والبعد عنها.

أما الضوابط فهي كالتالي:-

١- أن يكون قصد المقلد هو تحسين أدائه بالتلاوة وتزيين صوته بالقراءة ولا يكون هدفه الرياء والشهرة والصيت فهذا لا يجوز لعدم خلوص النية لله.

٢- ألا يكون اهتمام المقلد بالترنم والتطريب والاستلذاذ بنغمات القارئ بل عليه أن يكون اهتمامه بالتدبر والخشوع أثناء التلاوة مع حرصه على تحسين أدائه.

٣- الابتعاد عن التكلف والتصنع والمبالغة في التقليد بما يؤثر في صحة القراءة ويوقع في اللحن الجلي ، فيمد فيما لا مد فيه أو يقصر ما فيه مد أو يحرك ساكناً أو يسكن متحركاً أو يقف فيما لا يحسن الوقوف عليه أو يقرأ بشيء من أساليب القراءة غير الجائزة(٤٤).

وأما المحاذير التي ينبغي اجتنابها فهي:-

١- قد يكون المرء حسن الصوت جيد الأداء فيترك صوته ويخالف سجيته ويلغي شخصيته ويعمد لتقليد أحد القراء تأثراً به وهذا-في ظني-ليس بجيد إذ الأولى أن يقرأ بصوته الطبيعي الحسن ولا يتكلف في محاكاة أصوات الآخرين، بل يدع التقليد لمن لا يحسن التلاوة ولا يجيد القراءة.

٢- بعض الناس من شدة تأثره ببعض القراء يحرص على تقليدهم في كل شيء ولا يقتصر على تقليدهم في الصوت بل حتى في حركاتهم وما يطرأ عليهم فمنهم من يتابعهم في هيئته أثناء القراءة من انتفاخ أوداجه وتغير ملامح وجهه واهتزاز رأسه وتمايله يمنة ويسرة ووضع اليدين على الأذنين أو

وضع اليد اليمنى على الأذن وهزها ورفعها وخفضها بحسب التفاعل مع القراءة مما لاأصل له ولم يرد به الشرع ، بل وصل الحال ببعضهم أن يقلد القاريء فيما يعرض له من عوارض كالسعال أو التنحنح فيتعمد أن يقف مثله ويفتعل ما يشبه ذلك الصوت تصنعاً وقد يتأثر القارئ ببعض الآيات فيبدو تأثره وغلبة البكاء عليه فيقوم المقلد بمحاكاته في هذا تظاهراً بالخشوع وهذا من تشبع المرء بما لم يعط والرياء المنهي عنه.

٣- الحذر من المبالغة في التقليد للقراء بما يشبه العبث واللهو كما يفعل بعض أئمة المساجد - هداهم الله- فيقلد في يوم فلاناً من القراء وفي اليوم الثاني فلاناً من القراء وفي اليوم الثالث فلاناً من القراء، أو أنه يقرأ في ركعة بصوت قارئ وفي الركعة الثانية بصوت قارئ آخر إظهاراً لقدرته على التقليد وحرصاً على جذب المصلين وصرف وجوه الناس إليه وهذا مقصد محرم أيضاً، وقد يشجع هؤلاء ويزين لهم هذا العمل طلب المصلين المعجبين بهم أن يقرأوا بحسب طلبهم واختيارهم في تقليد القراء. وهذا من الأسباب التي دعت بعض العلماء المعاصرين للقول بحرمة تقليد الأصوات مطلقاً(٤٥).

٤- يجتمع عدد من الناس في مجلس مع أحد هواة تقليد أصوات القراء ويطلبون منه أن يقلد فلاناً وفلاناً فيأتي بالمطلوب وقد يقلد سبعة من القراء أو أكثر في ذلك المجلس بناء على طلبهم، وكلّما قلد قارئاً ضحك الحضور وطربوا لذلك وأثار إعجابهم دون أن يكون همهم التأثر بالقراءة والخشوع.

وهذا عمل محظور لما فيه من الاستهانة بكلام الله والسخرية عند قراءته إضافة إلى ماقد يشعر به هذا المقلد من الإعجاب بنفسه والنظر إليها بعين الإكبار، قال النووي رحمه الله:"ومما يعتنى به ويتأكد الأمر به: احترام القرآن من أمور قد

يتساهل فيها بعض الغافلين القارئين مجتمعين، فمن ذلك اجتناب الضحك واللغط والحديث في خلال القراءة إلا كلاماً يضطرّ إليه وليتمثل أمر الله سبحانه وتعالى﴿وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾(٤٦) (٤٧)

٥- قد يتخذ بعض الناس التقليد حرفة فيدعي الناس للاجتماع في المحافل التي يقرأ فيها ويحيي لياليها بصوته الشجي الذي يقلد فيه أحد المشاهير ويحقق من وراء ذلك مآرب دنيوية من مكاسب مادية ومكانة اجتماعية وشهرة عالمية وبئس هذه المقاصد المنشودة قال النووي رحمه الله:"وينبغي أن لا يقصد به توصلاً إلى عرض من أعراض الدنيا من مال أو رئاسة أو وجاهة أو ارتفاع على أقرانه أو ثناء عند الناس أو صرف وجوه الناس إليه أو نحو ذلك"(٤٨).

٦- قد يشتهر بعض الناس بحسن صوته مع ظهور اللحن في قراءته وعدم ضبط أحكام التجويد فيتأثر به بعض المقلدين دون دراية فيقعون فيما وقع فيه من الأخطاء في القراءة ولا عجب، فإن القراء يختلف مستواهم في جودة القراءة والإتقان قال أبوعمرو الداني رحمه الله: "وقراء القرآن متفاضلون في العلم بالتجويد والمعرفة بالتحقيق، فمنهم من يعلم ذلك قياساً وتمييزاً، وهو الحاذق النبيه، ومنهم من يعلمه سماعاً وتقليداً، وهو الغبي الفهيه(٤٩)، والعلم فطنة ودراية آكد منه سماعاً ورواية وللدراية ضبطها ونظمها وللرواية نقلها وتعلمها..." (٥٠).

لذا فعلى من أراد أن يستمع لتلاوات جيدة ليستفيد منها في تحسين أدائه أن يستشير أصحاب الخبرة من أهل الفن ممن يميز بين الجيد والرديء من القراءة ليرشدوه في اختيار القارئ المجيد الذي جمع بين جمال الصوت وحسن الأداء.

والله تعالى أعلم.

نتائج البحث

من خلال ما سبق يمكن أن نتوصل إلى النتائج التالية:

١- أن محاكاة أصوات القراء في قراءة القرآن أمر لم يكن معهودا بصورة واسعة فلم يحتج إلى بيان حكمها الشرعي

٢- أن لمحاكاة القراء أسبابا متعددة منها مقاصد شريفة محمودة ومنها مقاصد مذمومة قبيحة

٣- اختلاف وجهات أهل العلم المعاصرين في حكم المحاكاة في القراءة يرجع لنظر كل منهم لما يترتب عليه من آثار ويعود من نتائج

٤- أن القول بعدم جواز تقليد القراء فيه تضييع لمقاصد شرعية متحققة ، أن القول بجواز ذلك مطلقا دون ضوابط يترتب عليه مفاسد ومحاذير

٥- أن الحكم على مسألة تقليد الأصوات يجب أن يسبقها نظرة شمولية للإحاطة بجميع جوانب القضية وأطرافها المختلفة حتى يتمكن الباحث من الوصول إلى الحكم الشرعي الأقرب للصواب

٦- هناك مسائل فقهية وقضايا شرعية تحتاج إلى دراسات تأصيلية وتحقيقات منهجية يستفيد منها أهل العلم ويفيدون بها الأمة .

٧- ينبغي أن تستثمر طاقات الناس وتوظف مواهبهم فيما يعود عليهم بالخير .

الهوامش والتعليقات

(١) لسان العرب مادة (حكى) ١٤/١٩١.

(٢) أوصاف ونعوت قراءة النبي ﷺ ص ٩.

(٣) كتاب بدء الوحي باب ٤ حديث ابن عباس"كان يعالج من التنزيل شدة" رقم(٥).

(٤) صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن باب الترجيع رقم (٤٢٨١).

(٥) فضائل القرآن لأبي عبيد ص ٤٦.

(٦) التمهيد في معرفة التجويد ص ١٣١.

(٧) جرش الشيء لم ينعم دقه فهو جريش مختار الصحاح مادة (جرش).

(٨) التمهيد في علم التجويد ص ٥١.

(٩) تأديب الناشئين ص ١٨١.

(١٠) مقدمة ابن خلدون ص ٥٣٨.

(١١) (الطريق السديد ص٨٢.

(١٢) انظر كتاب نحو أداء متميز ص٢٧.

(١٣) انظر مهارات التدريس في الحلقات القرآنية ص١٨٨.

(١٤) بدع القراءة ص٤٢.

(١٥) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن رقم(٥٠٤٨) ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن رقم(٢٣٦).

(١٦) القرآن الكريم تاريخه وآدابه ص١٧٦.

(١٧) رواه أبوداود في الصلاة باب استحباب الترتيل في القراءة رقم(١٤٦٨) والنسائي في الإمامة باب تزيين القرآن بالصوت ٢/١٣٩،قال الأرناؤوط: وإسناده صحيح انظر جامع الأصول ٢/٤٥٥.

(١٨) رواه البخاري في فضائل القرآن باب من لم يتغنى بالقرآن بلفظ "لم يأذن الله لشيء ماأذن للنبي ﷺ يتغنى بالقرآن" رقم(٥٠٢٤) وورواه مسلم في صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن بألفظ مختلفة منها "ماأذن لله لشيء ماأذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به" رقم(٧٩٢).

(١٩) روه ابن ماجه في إقامة الصلاة والسنة فيها باب حسن الصوت بالقرآن رقم (١٣٤٠) بلفظ "لله أشد أذناً إلى الرجل الحسن الصوت يجهر به من القينة إلى قينته" وقال في الزوائد إسناده حسن.

(٢٠) التبيان ص ٦٢.

(٢١) الفتح ٧٢/٩. والحديث أخرجه أبوداود في الصلاة باب استحباب الترتيل في القراءة رقم (١٤٧١).

(٢٢) طرق تدريس القرآن الكريم ص ٤٥.

(٢٣) اللغة العربية أداء ونطقاً ص ٦٩.

(٢٤) الفتح ٩٤/٩.

(٢٥) المصدر السابق ٧٢/٩.

(٢٦) لطائف الإشارات ص٢١١.

(٢٧) تعليم تدبر القرآن ص١٠٦.

(٢٨) كيف تحفظ القرآن الكريم ص٥٠.

(٢٩) كما جاء في الحديث المشهور الذي أخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار رقم (١٩٠٥).

(٣٠) رواه الترمذي في كتاب العلم باب فيمن يطلب بعلمه الدنيا رقم (٢٦٥٤) وإسناده ضعيف لكن للحديث شواهد بمعناه يتقوى بها كما ذكر ذلك الأرناؤوط في جامع الأصول ٥٤٣/٤.

(٣١) فيض القدير ١٠٧/٦، وحديث "إن الله ليؤيد ..." هو جزء من حديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد باب إن الله ليؤيد الدين بالرجل الفاجر رقم (٣٠٦٢) ومسلم في كتاب الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وأن من قتل نفسه بشيء عذب به وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة.

(٣٢) الأنفال آية ٣٥

(٣٣) ص آية ٢٩

(٣٤) انظر الموقع الرسمي للشيخ/ أبي عبد المعز محمد علي فركوس على الشبكة العنكبوتية.

(٣٥) المزمل آية ٤

(٣٦) انظر إجابة الشيخ فوزي الأثري على الأسئلة الثلاثة السابقة في شبكة الأثري السلفية في ركن (فتاوى منهجية وفقهية.

(٣٧) انظر إجابة الشيخ محمد المغراوي في الشبكة العنكبوتية.

(٣٨) انظر إجابة الشيخ عبدالله بن جبرين في موقعه الرسمي على الشبكة العنكبوتية.

(٣٩) انظر إجابة الشيخ محمد العثيمين -رحمه الله- في كتاب الدعوة ٢٠١/٢.

(٤٠) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين١٥٩/١٥.

(٤١) انظر المبحث الثاني من رسالة بدع القراء والذي تحت عنوان:(في تقليد صوت القارئ)

(٤٢) الأسلوب والأداء ص ١٣٩.

(٤٣) الذريعة إلى مكارم الشريعة ص ١١٤-١١٥.

(٤٤) انظر كتاب حق التلاوة ص ٣٧-٣٨.

(٤٥) انظر المبحث الثاني من رسالة (بدع القراء).

(٤٦) الأعراف آية (٢٠٤)

(٤٧) التبيان ص ٥٢.

(٤٨) التبيان ص ٢١.

(٤٩) الفهيه والفهفه كالفةّ وهو الكليل اللسان العيي عن حاجته، اللسان مادة (فهه).

(٥٠) التحديد في الإتقان والتجويد ص ٦٧.